

السؤال

أنا شاب مقبل على الزواج من إحدى قريباتي التي التقيت بها لأول مرة عندما ذهبت لخطبتها ، برغبة شديدة ، ومباركة من أهلي ، وقد كنت - تقريباً - موافقاً عليها قبل أن أراها ، وقد زادت رغبتني في الزواج منها عندما شاهدتها لأول مرة ، حيث شعرت بقبول قلبي الشديد لها ؛ حيث كان أحد أصحابي الملتزمين قد أوعز لي بأهمية النظرة الأولى ، وقد برزت أمامي بملايس بيتها ، كاشفة شعرها ، ويديها ، وشيئاً من صدرها ، وكانت تلبس البنطال ، وكان ذلك بوجود أهلها ، وكان من أبرز ما بهرني بها : جمالها - ما شاء الله - ، وأدبها الكبير ، وحيائها ، وسمعتها الطيبة بكل ما سبق ، عند كل من سألته من أهلي عنها ، ومما شجعني على الزواج منها : اشتهار والدها برجولته ، وقراره الحازم ، وكذلك أخلاق أمها التي لم أجد أحسن منها فيما أعلم من النساء . حالي قبل الزواج : أنا شاب ملتزم ، وألقب بين غالب الناس بـ " الشيخ " خاصة في عملي كمهندس . صاحب لحية على السنّة ، حوالي أكثر من قبضة بقليل ، أكره مساسها ، إلا شيئاً بسيطاً . لا ألبس البنطال إلا في عملي فقط ، دائماً بالثوب . توبي كله على السنّة فوق الكعب . أحفظ القرآن ، وملتزم بحلقات لذلك . أكره سماع الأغاني ، والمسلسلات ، والأفلام ، وأكره كل ذلك ، في الأعراس ، وغيرها ، وحتى في نغمات الجوال . لا أحب ما يسمّى بـ " الأناشيد الإسلامية " ، ولا أعترف بجوازها ، وأكره محترفها . أحارب البدع القولية ، والفعلية ، ما استطعت . أكره التصوير كله ، سواء كان فيديو ، أو فوتوغرافيا ، وأكره تخليد الذكرى به . أحترم المنقبات ، ولا أوافق أبداً وأبدأ على أن تكون زوجتي غير ذلك ، وبالمنقبات الكامل الذي لا يظهر أي شيء منها أبداً . أحاول بكل وسيلة أن أظهر بكل مظاهر الالتزام . حالي الآن بعد الخطبة ، وقبل الزواج : أكره أن ألقب بـ " الشيخ " ، وقد أوعزتُ إلى أكثر من يعملون معي بهذا ، ولكن دون ذكر سبب صريح لذلك ، وتضايقت من أمي لأنها وصفتني بذلك عند أهل زوجتي قصرت لحيتي شيئاً فشيئاً ، وأرغب في تقصيرها أكثر من ذلك ، ولكن أخشى الناس وكلامهم . أصبحت أحاول لبس البنطال أكثر ، وخاصة الرياضي ، وأحاول اعتماد ذلك حيث أظن زوجتي تحب ذلك . طولت ثوبي - الدشداشة - ولكنها باقية فوق الكعب ، أما البنطال : فصار طويلاً ، لا يراعي كعباً ، ولا غيره ، وأرى ذلك يوافق عادات الناس التي لا تؤثر كثيراً على الالتزام . أحب لو أنني أسمع الأغاني ، ولا أمتنع أحداً من أهلي ، أو غيرهم من سماعها ، وأعطي زوجتي الإذن بذلك ، ولكن طلبت منها عدم المبالغة ، وتركت تقدير ذلك لها ، وفي حفلة خطوبتي : سمحتُ بكثير من الأغاني ، بخلاف ما كنت أودن عليه ولفترة طويلة من تشددي في ذلك . وزد على هذا : دخلتُ عند النساء في خطبتي ، حتى مجرد الاعتراض على ذلك لم أبده ، بل فرحت كثيراً عندما أبدت زوجتي فخرها بذلك أمام زميلات اللواتي لم يتوقعن ذلك مني . أصبحت أحضر أي عرس أدعى إليه ، ولا أنكر المنكر حتى بقلبي ! وأحب بعض النغمات في الجوال . أرى أن بعض البدع القولية والفعلية مبالغة فيما لا داعي له ، وقدرة المستطاع لا أنكر حتى إن رأيت زوجتي تشرب باليسرى ، فاستحسننت ذلك بنفسي . أحب التصوير ، وأحاول إشاعة عدم إنكاري لهذا بين الناس ، وأكرر على زوجتي كثيراً رغبتني في كثرة التصوير في عرسنا ، وهي سعيدة بهذا . لا أحب أن تكون زوجتي منقبة ، ولكنني لم أصرح بهذا لها ، ولكنني أظن أنها فهمت ذلك مني حيث

كانت قد وافقت على النقاب على مضمض ؛ فمئحتها فرصة أخرى للتفكير ، مع أنني اشترطت عليها ذلك وقت الخطبة ، فوافقت هي وأمها ، ثم أحسستُ منها كره ذلك ، فكرهته . في أحد مكالماتي لها قالت : أحب أن أكون مثل الناس الذين أعاشهم ، فأحسست بنقص شديد ؛ لأنني كنت ضد الناس في كثير من المواقف . كل هذا الانقلاب حدث في حوالي شهرين ! ماذا حدث لي ؟ ما الحل ؟ أين الحق ؟ لا أعرف ، أو لا أكثرث كثيراً إن عرفت ! لماذا لا أعرف ؟ أنا في حيرة عظيمة ، حيث يأتي أحيانا قليلة هاجس الفشل والضعف أمام كل الناس ، وأرغب في الرجوع لسابق عهدي . هل لزواجي العامل الأكبر في ذلك ، أم ماذا ؟ أفيدوني ، أفادكم الله .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

1. أخي الكريم والله إنا لنستشعر منك محبة الدين ، والاستقامة ، وقد أثلجت صدورنا في بداية السطور من حبك للطاعات ، والقربات ، ثم - والله - أحسنا بحزن ، ومرارة ، لما صار بك الحال بعد خطبتك ، فنسأل الله تعالى أن يلهمك رشداً ، وأن ينير لك دربك ، وأن يصرف عنك استدراج الشيطان .

2. وكل من يقرأ سردك للأحداث التي جرت معك ، وما صرت إليه من حال بعد حالك الأول : يجزم أنك وقعت في " فتنة " ، ولعلك لا تخالفنا في ذلك ، وما حصل معك من تغيير في الحال ، والأحكام : هو دليل على حصول الفتنة في حياتك ، وقد تنبه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان لمثل هذا ، وهو الخبير بالفتن ، وأهلها ؛ لعلو مكانته من النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى صار أميناً على سرّه ، مع اهتمامه بأحاديث الفتن أن يعيها ، ويحفظها ، فماذا قال ذلك الصحابي الجليل عن مثل حالك أيها السائل ؟ .

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتَهُ الْفِتْنَةَ أَوْ لَا : فَلْيَنْظُرْ ، فَإِنْ رَأَى حَلَالاً كَانَ يَرَاهُ حَرَاماً ، أَوْ يَرَى حَرَاماً كَانَ يَرَاهُ حَلَالاً : فليعلم أن قد أصابته .

رواه ابن أبي شيبة في " المصنف " (88 / 15) والحاكم في " المستدرک " (4 / 514) .

وهذا هو عين ما حصل معك من تقلب حالك في أحكام : قصر الثوب ، واللحية ، والموسيقى ، والنقاب للمرأة ، والاختلاط ، وإنكار المنكر .

بل لا نظن أنك تحتاجنا أن نقيم لك الأدلة على أن ما صار إليه حالك ، والعياذ بالله ، هو ضلالة بعد هدى ، وانتكاسة بعد صلاح حال ، نسأل الله أن يردك إلى ما يحب ، وأن يصلح لك شأنك :

دَخَلَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى حُدَيْفَةَ ، فَقَالَ : اعهْدْ إِلَيَّ !!

فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ يَأْتِكَ الْيَقِينُ ؟

قَالَ : بَلَى وَعِزَّةَ رَبِّي !!

قَالَ : فَأَعْلَمُ أَنَّ الضَّلَاةَ حَقَّ الضَّلَاةِ ، أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ ، وَأَنْ تُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوْنَ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ !!

رواه عبد الرزاق في مصنفه (11/249) والبيهقي في السنن الكبرى (10/42) .

لذا : فالواجب عليك أن تعلم الداء الذي أصابك ، ثم تنقذ نفسك من آثاره السيئة ، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم ، ونحن على ثقة بأنك إن صدقت مع ربك تعالى في حب النجاة مما أنت فيه من فتنة ، أنه تعالى سينجيك من تلك الفتن ، ويأخذ بيدك إلى بر الأمان .

3. وإذا أردت النجاة من تلك الفتن : فاعلم أنك بحاجة لدوافع قوية تدفع بها تلك الشرور التي دخلت في قلبك ، وعقلك ، ونحن نوصيك بأشياء نرجو أن يكون لها حظ عندك في العمل ، لا بمجرد العلم بها ، ومن ذلك :

أ. الدعاء ، فاختر آخر الليل لتقوم بين يدي ربك تعالى تناجيه بالعبادة ، وتدعوه بأن ينجيك من الفتن ، ما ظهر منها ، وما بطن ، وأن يحبب إليك الإيمان ، ويزينه في قلبك ، وعلى جوارحك ، وأن يكره إليك الكفر ، والفسوق ، والعصيان .

ب. العلم ، وفقهه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، كما يروى عن ابن عباس ، فاحرص على تعلم دينك ؛ فإن من شأن العلم الشرعي النافع أن يحفظ أهله من الزلل ؛ لما يعلمونه من قصر هذه الحياة ، وعدم بقائها ، وأن الموت حق لا ريب فيه .

ج. الطاعات ، والأعمال الصالحة ، وإنك لو تأملت نفسك لرأيت أن بداية التقصير والفتنة عندك في حياتك قد سبقها تقصير في طاعة الله ، والقيام بالأعمال الصالحة ، فارجع لأحسن من سابق عهدك ، واجعل لنفسك ورد قراءة للقرآن والأذكار ، وورد أعمال صالحة تقوم بها في ليلك ، ونهارك .

د. الصحبة الصالحة ، فللصحبة الصالحة التقية الطيبة أثرها البالغ في حياة الشخص واستقامته ، وقد قال الله تعالى في كتابه : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) الكهف/28 .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ ذُئِبُ الْإِنْسَانِ كَذُئِبِ الْغَنَمِ ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْفَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ ، فَأَيَّاكُمْ وَالشَّعَابَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ) . رواه الإمام أحمد في مسنده (21524) ، وقال محققوه : حسن لغيره .

هـ . الخوف من سوء الخاتمة ، وأنت تعلم بأنه ليس كل مسلم يوفق لحسن الخاتمة ، بل المسلم يموت على ما يعيش عليه ، فاحذر من فوات وقت التوبة عليك ، فلا تدري متى كتب الله عليك الموت ، والدنيا دار عمل ، لا جزاء ، وغدا تقبل على دار جزاء ، لا عمل .

4. اعلم أيها الأخ السائل : أنه لا سعادة تعدل سعادة الإيمان ، والقرب ، من الرحمن ، ولذة الطاعة والعبادة ؛ فالتقي هو السعيد ، والمستقيم هو المطمئن المستريح ؛ وكل سعادة خلت من إيمان وتقوى : فوالله إنها بهرج ، وزخرف ، وغرور ، عن قريب تزول .

5. الأصل أن الزواج مكمل لدين المرء لا منقص له ، كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي) .

(مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي)

رواه الحاكم في "المستدرک" (175 / 2) والطبراني في "الأوسط" (1 / 294) ، وحسنه الألباني في " صحيح الترغيب " (2 / 192) .

ومما يعين على ذلك : اختيار الزوجة الصالحة لتكون شريكة لك في بناء أسرة طيبة ، مع إعانتها لك على طاعة ربك ، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ) رواه مسلم (1467) .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَظَفَرِ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ) رواه البخاري (4802) ومسلم (1466) .

قال النووي - رحمه الله - :

وفي هذا الحديث : الحث على مصاحبة أهل الدين في كل شيء لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن المفسدة من جهتهم .

" شرح مسلم " (10 / 52) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - :

وقال صلى الله عليه وسلم : (تنكح المرأة لأربع : لمالها ، وجمالها ، وحسبها ، ودينها ، فظفر بادات الدين تربت يمينك) لما فيها من صلاح الأحوال ، والبيت ، والأولاد ، وسكون قلب الزوج ، وطمأنينته ، فإن حصل مع الدين غيره : فذاك ، وإلا فالدين أعظم الصفات المقصودة ، قال تعالى : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) النساء/ 34 .

" بهجة قلوب الأبرار " (ص 91) .

ولمعرفة صفات المرأة ذات الدين : انظر جواب السؤال رقم : (96584) .

والزوج المتزوج من امرأة صالحة فإنه يجد منها تشجيعاً إن فعل طاعة ، ووجد منها نصحاً وتذكيراً إن هو انحرف عن طريق الهداية ، ولعل الضعف الذي أصابك بعد الخطبة إن لم تكن خطيبتك هي سببه : فإنها لم تدلك على الخير ، ولم تنصحك بما هو صواب من أفعالك ، بل كان منها مباركة لما وقعت فيه من مخالفات ، وكان منها تشجيع على التخلي عن صفات الخير ، وأنت بذلك تدفع ثمن اختيارك ، ولا ندري عن ميزانك في الاختيار ، وأنت ادعيت أنك كنت ملتزماً ، فكيف قبلت أنها تلبس البنطال أمامك ، وأمام أبيها ، أو أشقائها ، وغير خافٍ أن البنطال مفصّل للعورة ، ولا يجوز إظهاره أمام محارم المرأة ، فضلاً عن إظهاره أمام من جاء يخطبها ! .

6. حقيقة الجمال هي جمال الأخلاق الظاهرة والباطنة ، والجمال الظاهر يزول مع الأيام ، ولكن الذي يبقى هو جمال الروح ، والأخلاق ، والدين ، والاستقامة ، فليست الحياة الزوجية قائمة – فقط – على الجمال ، والإعجاب ، بل لا بدّ للمسلم العاقل أن ينظر بعين بصيرته إلى ما هو أبعد من ذلك ، من إعانة على طاعة الله ، وإلى حفظ بيته في غيابه ، وإلى تربية أولاده تربية إسلامية ، وإلى غير ذلك .

7. وعلى ذلك أخي السائل : إذا كان سبب انتكاستك وتحول حالك ، هو قلة التزام خطيبتك ، وأن تغير حالك بعد الخطبة بسبب محاولة إرضائها والحصول على حبها وقربها : فاعلم أنك موهوم ، ولن تشعر براحة البتة ، بل سوف يزداد الأمر عندك ألماً ، وحسرةً ، وكدرًا بعد الزواج ، وخاصة بعد أن تنال مطلوبك منها ، والذي رغبتك في زواجك منها ، ثم سوف تتحول هذه الرغبة إلى كره ، ومقت ، وألم ، ومحاولة الخلاص منها ؛ إذا بقي في قلبك داع يطلب أن تكون على ما كنت عليه قبل الزواج .

وأما إذا زال من قلبك استحسان ما كنت عليه من الطاعة ، ولم تبق نفسك تنازعك إلى العودة إلى ربها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، وأحسن الله عزاء المسلمين فيك !!

8. فالنصيحة لك – أخي السائل – أن تصلح نفسك أولاً ، لتعود إلى سابق عهدك ، بل أفضل ، ولا تظنن نفسك أنك على هدى ، وطريق مستقيم ، بل ما ذكرته لنا كافٍ للحكم عليك بوقوعك في فتنة عظيمة ، وما ذكرته لنا يدل أن الأمر عندك لم يقف عند حدٍ ، بل هو مستمر ، وهذا خطير جداً عليك ، فيخشى أن يكون انتقالك من فتنة إلى أختها ، ومن معصية إلى مثلها : أن تقع في فتنة الدين – لا قدر الله – ، ولا تظنن هذا بعيداً عنك ، ولا عن غيرك ، فالشيطان أحرص ما يكون على هذه الفتنة ، وهو لا يترك المسلم لينجح معه في هذه الفتنة حتى النزع الأخير .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ فَقَالَ اللَّهُ فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أُغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَعْفَرُونِي) .

رواه أحمد (17 / 344) ، وحسنه الألباني في " صحيح الترغيب " (1617) .

وانظر جواب السؤال رقم : (23425) ففيه بيان خطر المعصية ، وأثرها على صاحبها .

9. ثم بعد أن تصلح حالك : حاول تقريب خطيبتك إلى حياة الالتزام ، والطاعة ، فإن لمست منها استجابة : وإلا ففي خلاصك منها راحة ، إن شاء الله ، وسلامة لدينك ، واستقامتك . ولا يلزم من ذلك طعن بها ، أو في أهلها ، ولكن الرجل العاقل الملتزم يبحث عما يعينه على طاعة الله ، ويقربه من رضى الرحمن ، فعن ثوبان قال : لَمَّا نَزَلَتْ (الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : " أَنْزَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا أَنْزَلَ ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذُهُ ، فَقَالَ : (أَفْضَلُهُ : لِسَانُ ذَاكِرٍ ، وَقَلْبُ شَاكِرٍ ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تَعِينُهُ عَلَى إِيْمَانِهِ) رواه الترمذي (3094) وحسنه ، وابن ماجه (1856) وصححه الألباني في " صحيح الترمذي " .

قال المباركفوري - رحمه الله - :

(وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه) أي : على دينه ، بأن تذكره الصلاة ، والصوم ، وغيرهما من العبادات ، وتمنعه من الزنا ، وسائر المحرمات .

" تحفة الأحوذى " (8 / 390) .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ : الْمَرْأَةُ السُّوءُ وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ) . رواه أحمد في مسنده (1 / 168) ، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (1914) .

نسأل الله أن يوفقك لطاعته ، وأن يعينك على الالتزام بأوامره ، وأن يرزقك الزوجة الصالحة التي تعينك على أمر دينك ودنياك ، وأن يصرف عنك كيد الشيطان واستدراجه .

والله أعلم